المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدﷺ إمام أهل البيان والتبيين، ومؤسس سلطان الأمة الجامع مصالح الدنيا والدين.

ثم أما بعد:

فهذا كتاب أفردته في أبنية لغة الخطاب المعاصر، وأثر السياسة والإعلام فيها، وأقيستها في العربية، ودلالاتها في الخطاب المعاصر، وقد عالجتها معالجة لغوية ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، واستعنت في ذلك بمصادر العربية القديمة والحديثة، فعولت كثيراً على الكتب التي عالجت لغة الخطاب اليومي وقياسه في العربية وتصحيح ما شذ عنها، وتناولت الأبنية المحدثة التى لا قياس لها فى العربية ولا فى نادرها أو شاذها، واستعنت ببعض كتب أصول اللغة العربية وقواعدها وبأعمال خالدة عالجت لحن العوام وأوهام بعض العلماء في اللغة والكتب التي صححت أخطاء السابقين واستدركت ما فاتهم.

وقد استوفيت بعض الأبنية شرحاً على ندرتها في الخطاب المعاصر، لاحتمال طرحها في الخطاب وتوظيفها، فأعدت عرضها ميسرة ، وذكرت قياسها في العربية؛ ليتوسع المعاصرون في استخدامها، وليخرجوا من الوادي الضيق إلى سعة من اللغة.

وليس الهدف من ذلك معالجة الأبنية المهجورة بل إعادة طرحها في لفظ مولد، والتوسع في استخدام النادر وإثراء الخطاب المعاصر بثروة لغوية متنوعة؛ ومن ثم تناولت بعض الأبنية النادرة والمهجورة، لإتمام القاعدة والاستشهاد بها، لنقيس عليها نظيرها في الخطاب المعاصر، أو نصنع على بنائها أبنية جديدة منحوتة. وهذا من باب التوسعة على مستوى اللغة للتعبير عن مستحدثات العلوم، وتلبية للتطور الحضارى، وهذا شأن العربية التي وسعت الإسلام لفظاً ومعنى ووسعت إفرازات

العصور السابقة، ومازالت تتسع لمزيد من المعاني الجديدة، ولها القدرة على استيعاب إنتاج الحضارة المعاصرة.

وقد اخترت عينات لغوية من وسائل الإعلام المسموعة (الإذاعة) والمرئية (التلفاز والقنوات الفضائية)، وعولت فيها على أحاديث الإخباريين، والمعلقين، والبيانات، والإعلانات، ونشرات الأخبار التي تنقل عن السياسيين وتحدث بقولهم.

ودونت بعض ما سمعته من خطب الرؤساء ورجال الحكومات والباحثين السياسيين. وعوَّلت كذلك على بعض الصحف والدوريات السياسية.

ولم أدرس نصوصاً بعينها أو مجموعة خطب أو أحاديث منتقاه أو عفوية؛ لأنها لا تكفي في الحديث عن كل أبنية اللغة وقضاياها المعاصرة، ولاشك أن تحديد العينة فيه راحة لي بيد أنها لا تستوفي كل القضايا والتطورات وخروج الخطاب المعاصر على عرف العربية الفصيحة في بعض الأبنية والأساليب، وفيه تضييق على البحث الذي يهدف إلى معالجة وافية قدر المستطاع، فأطلقت مادة العينات، حتى أتمكن من معالجة ما يعن لي من قضايا لغوية في الخطاب المعاصر، وقد وسع على ذلك دائرة البحث وزاد المشقة، وتطلب جهداً كبيراً، لم أستثقله ولم أتبرم منه ولم آل جهداً، بفضل الله تعالى وعونه[1]. ومنهج البحث رأسي يتطلب تقصي الموضوعات تباعاً وبسطها وافية، وهذا يتطلب مادة لغوية تسع الموضوعات، ومن ثم لم نحدد عينات، فالعينة تصلح للبحث الأفقي الذي يقوم على بحث العينة وحدها، فلا يعدوها إلى غيرها، والنماذج الاختيارية لا تعطى تصوراً شاملاً لظواهر اللغة فى الخطاب المعاصر.

---

(١) لقد بحثت الخطاب السياسي في بحث بعنوان " لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال" طبعته دار النشر للجامعات بالقاهرة ، وقد تناولت فيه خطابات الرئيسين جمال عبد الناصر والسادات، فبحثت فيها العناصر الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، وفرقت بين الخطاب المكتوب والخطاب المنطوق ، وسمات كل منهما ، لكن مادة الدراسة لم تكن وافية ، ولم أتوسع في دراسة هذه العناصر فأوصاني أستاذي وصديقي الدكتور محمد العبد بإعداد دراسة مستقلة عن العناصر الصرفية لحاجة البحث اللغوى إليها ، وكنت قد هممت أن أفعل فزادني طلبه همة ، فلله الشكر ثم له جزاء دعمه ونصحه.

وقد جمعت الدراسة بين لغتي الخطاب السياسي والخطاب الإعلامي لعدم وجود فرق بينهما في خطابنا المعاصر ، فالتفرقة بينهما في التسمية دون المادة، فكلاهما يتحدث لغة الآخر، فلا تختلف في لفظها ومضمونها، فالسياسة موضوعاً رئيسياً في الخطاب الإعلامي الذي يعد انعكاساً لصورتها الغامضة وأداة فعالة في مصالحها وأهدافها، ووسيلة مؤثرة في الجمهور، فتوظفها السلطة في إقناعهم والضغط عليهم وتوجيههم إلى مقاصدها، والخطاب الإعلامي متسع رحب لما يطفح به الخطاب السياسي من ألفاظ وتعبيرات وأساليب موجهة إلى المتلقى، وإفرازات لفظية عدل بها عن أصلها إلى دلالات فيها تعمية وخلط وتدليس، فالإعلام لسان السياسة والمتحدث نائباً عنها أحياناً، فقد نشأ في كنفها وتطفل عليها كثيراً مدحاً أو قدحاً، وخضعت مؤسسات الإعلام للسلطة التي تغدق عليها من عطاياها فصارت أسيرة أهدافها، وقد كانت هناك مؤسسات مستقلة بيد أنها قليلة وضعيفة قياساً إلى المؤسسات الضخمة ربيبة السلطة، وقد ظهرت مؤسسات حديثة لا تخضع للسلطة بيد أنها تعجز عن مواجهتها بالحقيقة، لكنها تستطيع أن تقولها تلميحاً وتورية، فمازالت السلطة تحتكر وسائل الإعلام وتضيق على المستقلة منها، وهي تحاول الفكاك من أسرها وسطوتها، وقد تناولت علاقة السلطة بوسائل الإعلام في كتاب " خطاب السلطة الإعلامى" [1]. ولفظ " الخطاب " يراد به للغة الحوار التي تتفاعل مع الأحداث المعاصرة، وترتبط بالعالم الخارجي، وتدخل فيها لغة الخطاب اليومي المنطوقة، وما يعرف بلغة الحوار، والمحادثة، والحجاج، والخصام، واللجاج، والملاحاه، ولغة الإعلان، والرسائل، والقرارات، والبرقيات.

فلفظ الخطاب جامع أشكال اللغة التي تتفاعل مع العالم الخارجي وتعبر عنه تعبيراً حياً مباشراً، ويعد العالم الخارجي جزءاً من دلالتها، فتحيل إليه وتعبر عنه.

---

(١) ارجع إلى: كتابنا «خطاب السلطة الإعلامى»، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ٢٠٠٥م.

والسياسة تفعِّل اللغة وتوظفها توظيفاً مقصوداً، تغنيها بالألفاظ وتنميها وتعدد دلالتها وتطورها، فتولد منها المشتقات والمعاني الجديدة، وتستعير الألفاظ الأجنبية وتطرحها في اللسان العربي، فتتصرف في العربية وتطوعها الألسنة وتولد منها المشتقات أيضاً. وقد أعادت السياسة طرح الألفاظ بدلالات جديدة متطورة عن المعانى التراثية، فأحيت بعض الألفاظ القديمة، بدلالة معاصرة مولدة ومنحتها مفاهيم واسعة، فاتسعت دلالتها وارتقت وانتشرت فأصبحت من معجم الخطاب المعاصر.

وقد أصيبت لغة الخطاب اليومي بآفات، فقد تفشى فيها اللحن بتقصير أهلها في دعمها وتأثير اللغات الأجنبية فى الخطاب اليومى، وعدم تنشئة النشء عليها وضعف المستوى اللغوي في مؤسسات التعليم والإعلام واستخفاف بعض أهلها بها، فقد شاب الخطاب اليومي أخطاء شاعت فيه وتداولتها الألسنة، فظهرت أساليب جديدة، والمجامع اللغوية عجزت عن ملاحقة الأبنية التي أفرزتها الأحداث والحضارة والتفاعل الثقافي، وعجزت كذلك عن ضبط لغة الإعلام التي تطرح يومياً على الجماهير دون رقابة لغوية، وذلك لضعف إمكاناتها وتهميش دورها وعدم الرجوع إليها وعدم وجود قرار سياسي يلزم الجماهير بالرجوع إليها في وضع الأسماء الجديدة وتصحيح النصوص.

والسياسة بما لها من نفوذ سلطي وما تملكه من وسائل إعلامية لها قدرة على تهميش دلالة الألفاظ وتفريغها من مضمونها والتعمية فيها وتوجيه دلالاتها إلى معانيها الخاصة، ولها القدرة كذلك على تغيب ألفاظ وطرح أخرى مجهولة، فتدلس فيها وتبتكر معاني لها وتدفع بها إلى ساحة الخطاب، وتتسلط في إقناع الجمهور بها، فيسلم ــ بعد نفور ــ بفرضها عليه.

والخطاب السياسي والإعلامي من وراء ظهور أبنية جديدة لا قياس لها في عربيتنا وتعد خرقاً فيها، ولا قدرة لمجامع اللغة في صدها بعد أن نزلت ساحة

الخطاب، فتسلم بوجودها، وتجتهد في تخريج لها، وتتأولها على وجه من وجوه العربية النادرة أو الشاذة.

وقرارات المجامع اللغوية في ذاتها، فليست موجهة إلى سلطة تنفيذية تلزم الهيئات العمل بها، ولا تصل هذه القرارات إلى الناس، فلا ضابط لحركة الخطاب اليومي، فيتصرف الناس فيه على ما هم عليه من ضعف لغوى دون قياس يرجعون إليه، فصارت هنالك أبنية في الخطاب اليومي تحتاج توجيهاً أو تقويماً أو تخريجاً على وجه من وجوه العربية بيد أن وسائل الإعلام لا تعول كثيراً على قرارات مجامع اللغة، فإن فائت إليها، فإن رجوعها يأتي بعد شيوع هذه الكلمات في ألسنة الناس.

واللغة حية في ألسنة الناس، وتنمو وتتطور في ألسنتهم، ومعالجة اللحون والشذوذات بعد شيوعها في اللسان تكون نتائجها هينة.

والوقاية من هذه اللحون أفضل من معالجتها، ويمكن أن نتقيها برفع مستوى الخطاب اليومي وتنمية القدرات اللغوية في الجماهير وتعليمهم اللغة الصحيحة وتوجيههم من خلال وسائل الإعلام التي تستخدم اللغة الصحيحة والأعمال الفنية الجيدة التي تستخدم اللسان العربي المبين، وقد نجحت هذه التجارب في دولة سوريا، فالأعمال الفنية التاريخية رفعت مستوى اللغة في خطاب العوام، وصارت العربية سهلة في ألسنتهم.

واستطاعت بعض الدول العربية رفع المستوى اللغوي عند الأطفال وتعليمهم العربية الصحيحة بمسلسلات الرسوم المتحركة (الكارتون) والأفلام التي تتضمن قصصاً تاريخية، وقد حققت هذه الأعمال الراقية نجاحاً عظيماً في تنشئة الأطفال تنشئة لغوية دون نفقة أو مشقة، وذلك من خلال وسائل الترويح واللعب وبعض الوسائل التي تحفز الأطفال وترغبهم في التعلم، فوسائل الإعلام عنصر فعال في رفع مستوى الخطاب اليومي، وينبغي استصدار قرار سياسى يلزم رجال السلطة والعاملين بالدولة التحدث باللغة الرسمية الصحيحة فى مؤسسات الدولة، وليس

هذا بمستهجن فى دولة عضو فى جامعة الدول العربية وينص دستورها على أن العربية اللغة الرسمية.

ويوجد فريق مغترب يتحدث العامية ويفسد الأذواق والأخلاق، ويطرح بعض التراكيب التي يستخدمها الأراذل والسفهاء ويتنكت بها ويتظرف بألفاظ الفحش والخنا وهي إسفاف، وبعضهم يدعم الأعمال الفنية الهابطة التي تحط من قدر العربية ومن مبادئ المجتمع وقيمه، وهؤلاء على الجبهة الأخرى يهدمون ما يشيده المعلمون والمصلحون ورجال الدين ويبددون طاقة الأمة وأموالها في غير نفع.

وبعض رجال السلطة في العالم العربي لا يجيدون الحديث بالعربية الصحيحة ويتركونها لعجزهم عنها إلى الحديث بالعامية المبتذلة، ولا يعيرون لغتهم اهتماماً، والعمل بهذه اللغة الفصيحة واجب وطني وقومي ونصت عليه التشريعات (الدساتير) في العالم العربي، فاللغة العربية اللغة الرسمية، وليست العامية، وهم لايحسنون حديثها ــ غالباً ــ بل يتحدثون العامية، ويسرفون فيها أحياناً، ويطعمونها ببعض الألفاظ الدخيلة، ويتحدثون اللغات الأجنبية في المحافل الدولية الرسمية، ويتركون لغتهم، وهي لغة معترف بها في المؤسسات الدولية.

ويحرص رجال السلطة في العالم على أن يتحدثوا لغتهم الرسمية في الزيارات الرسمية والبيانات والاتفاقيات، وبعض رجال السلطة من العرب ينكرون لغتهم في مقام يستحسن التحدث فيه بها بل يجب أن تذكر فيه.

ولا يعطون لغتهم حظها من العناية والتدقيق ولا يولونها اهتماماً، ولا يعبئون بقضاياها ولا يجّدون في تقديم شيء لها إلا قليلاً منه، وكثير منهم غافل عنها وعن العاملين بها، والمخلصون في خدمتها لا يجدون دعماً حكومياً كافياً، وتنحصر الجهود المقدمة لها في العاملين بها وباحثيها وبعض الأدباء المحافظين وبعض الجمعيات الأهلية، وهنالك جهود عظيمة يبذلها المخلصون الأوفياء لعروبتهم ودينهم للمحافظة على العربية والارتقاء بها، بيد أن تجاهل السلطة لهذه الجهود وتقاعسها

عن دعمها بل ودعمها للتيارات المناهضة لها خذَّل منها ووضع من حماسها وبدد طاقاتها في مواجهة العدوان على العربية.

والتيارات الدينية وبعض التيارات المعارضة للسلطة تتخذ العربية الفصيحة لساناً في خطابها، وقد أكسبها هذا أسهماً في الجماهير، وأفسح لها طريقاً إلى السلطة، وحققت جماهيرية واسعة تغالب بها حكومات لا تكاد تبين، وتعجز عن أداء خطاب إقناعي مؤثر، وقد سئم الناس لغطها وأنماطها وقوالبها اللغوية المحفوظة التي لاتجديد فيها ولا حياة.

ولا شك أن قوة خطاب التيارات الدينية السياسية ومضمونه الجديد وأسلوبه وأداءه وتقنيات عرضه من العوامل التي دعمته وأكدت وجوده مع إيمان أصحابه بقضيتهم وإخلاصهم لها.

وأقطاب التيارات الدينية يوظفون اللغة توظيفاً جيداً، ويعولون على الأساليب المؤثرة، ووسائل التعبير وتقنيات الأداء التواصلي، ويضمنون خطابهم مضامين تراثية ويقتبسون من عيون التراث مآثره ومناقبه، ويوظفون القوالب القديمة ويوشُّون خطابهم بآيات من القرآن الكريم وجوامع الحديث الشريف ومآثر الحكماء والعلماء، فصقلوا بذلك خطابهم وكسوه مهابة وجعلوا له قدسية في قلوب الناس وشرعية في عقولهم، فزعزعوا رجال السلطة الجُثَّم القعود ، فلا يملكون خطاباً.

وخطاب هذه التيارات من الناحية اللغوية أقوى تأثيراً وأكثر انتشاراً من خطاب السلطة التقليدي الذي يردد قوالب لغوية ثابتة فترت منها النفوس ومجتها الأسماع.

ولعل رجال السلطة يفيئون إلى الحق، ويستبينون الرشد قبل ضحى الغد، فيعيدون النظر في خطابهم ومضمونه، ويؤدون واجبهم نحو شعوبهم وعروبتهم ولغتهم لسد الفتق وإصلاح الرتق ورأب الصدع وجمع الكلمة.

والله أسأل أن يهدينا ويهديهم إلى الحق والعمل به وهو ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العامين.

الدكتور

محمود أبو المعاطي عكاشة

القاهرة – لاظوغلي

رجب ١٤٢٦هـ – أغسطس ٢٠٠٥م